Al-Daleel
موسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

Human Dignity According to the Monotheistic Worldview and Humanism

Adil Laghrib

PhD Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Algeria.

E-mail: a.laghrib@aldaleel-inst.com

Abstract

The issue of human dignity is considered as among the important issues that holds importance in that it is one of the foundations of thought and philosophy that different foundations, laws and rights depend on in organising human life and society. This paper, using an analytical-descriptive methodology, aims at explaining the concept of human thought through a monotheistic worldview and a humanist worldview. The meaning of dignity is what a human enjoys as a human and what they have in nobility, honour and respect. Although this is an old concept in Islamic and human thought, but applying it in positivist thought that humanists adopt is something new. The humanist view that is wrong, shallow and materialist looks at things in a very limited and shallow way. As for the monotheistic worldview, in addition to it elevating the status of human and his nobility and honour, it also explains the way human can be dignified and how it can be achieve, and what the obstacles are.

Keywords: Dignity, Human, Humanism, Monotheistic Worldview, West

_____

Al-Daleel, 2022, Vol. 5, No. 2, PP.129-144
Received: 1/8/2022; Accepted: 25/8/2022
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

كرامة الإنسان في ضوء الرؤية الكونية التوحيدية والأنسنية

عادل لغريب

دكتوراه في الفلسفة الاسلامية، جامعة المصطفى العالمية، الجزائر، البريد الإلكتروني: a.laghrib@aldaleel-inst.com

الخلاصة

تعدّ مسألة الكرامة الإنسانية من المسائل المهمّة التي تكمن أهمّيتها في كونها أحد الأسس والمبادئ الفكرية والفلسفية التي شيّدت فوقها مختلف الأسس والقوانين والحقوق الأخرى التي تنظّم حياة الإنسان والمجتمع في العالم الحديث والمعاصر. وعلى هذا الأساس يسعى المقال وفق منهج تحليلي ووصفي إلى تسليط الضوء على مفهوم كرامة الإنسان من خلال الرؤية الكونية التوحيدية والرؤية الأنسنية. والمراد من الكرامة هو أنّها حيثية يتمتّع بها الإنسان بما هو إنسان ويمتلك من خلالها التقدير والشرف والاحترام والنزاهة عن النقائص. وعلى الرغم من قدم هذا المفهوم وعراقته في الفكر الإسلامي والبشري إلّا أنّ توظيفه في الفكر الوضعي الذي تتبنّاه الرؤية الأنسنية كان منذ عهد قريب. إنّ نظرة الأنسنة الخاطئة والسطحية والمادّية حول حقيقة الإنسان ألقت بظلالها على منظومة المفاهيم المتعلّقة بالإنسان وعلى رأسها كرامة الإنسان، فأصبغتها بالسطحية وحصرتها في نطاق ضيّق جدًّا. أمّا الرؤية الكونية التوحيدية فعلاوةً على رفعها من شأن أصل الإنسان وشرفه ومقامه وتكريمه له، فقد بيّنت له طريق الكرامة وكيفية اكتسابها وبلوغها وموانعها.

الكلمات المفتاحية: الكرامة، الإنسان، الأنسنة، الرؤية الكونية التوحيدية، الغرب.

مجلة الدليل، 2022، السنة الخامسة، العدد الثاني، صص. 130-144

استلام: 2022/8/1 ، القبول: 2022/8/25

الناشر: مؤسسة الدليل للدراست والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدمة

يحتلّ موضوع الكرامة باعتباره أحد أهمّ الأبعاد والخصائص الانسانية مكانةً هامّةً جدًّا في العديد من الأديان والمذاهب الفكرية ومختلف الحقول العلمية والفكرية كالأخلاق والفلسفة والقانون والحقوق وغيرها. وهذا الاصطلاح في معناه العامّ كاشفٌ عن القيمة العليا والذاتية للإنسان وأفضليته على بقية الموجودات الأخرى. وعلى الرغم من قدم مفهوم الكرامة وعراقته وعمقه في الفكر البشري والإسلامي إلّا أنّ توظيفه في القانون الوضعي الذي تعتمده الأنسنة هو الذي تمّ في عهد قريب. [شيكرب، الكرامة الإنسانية في المسيحية والإسلام والمواثيق الدولية، ص 139]

وعلى هذا الأساس فإنّ هذا الموضوع قد برز إلى الواجهة في القرون المتأخّرة باعتباره مبدأً قانونيًّا وحقًّا طبيعيًّا تنادي به مختلف المنظّمات الإنسانية العالمية، وشعارًا مدوّنًا في رأس دساتير الدول ومواثيقها وعهودها، وعلى رأسها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرّ في العام 1948. [اللغماني، حقوق الأنسان.. مفاهيمها وأسسها، ص 46]

وقد طرحت كرامة الإنسان أساسًا فلسفيًّا ترتكز عليه سائر الحقوق الأخرى وفق نظرة غربية وكنتاج غربي ونتيجة متمخّضة عن منهج التفسير الإنساني للعالم والإنسان ضمن رؤية فكرية ترمي إلى إعطاء تفسير جديد للإنسان والشؤون الإنسانية، ومن أصول هذه الرؤية أنّها تحصر دائرة وجود الإنسان في الحياة الدنيوية، وتحدّ من ارتقائه إلى مستوى الأفق المادّي الدنيوي فحسب. وقد كانت هذه الرؤية وليدة عصر التنوير في أوربّا والانقلاب على كنيسة القرون الوسطى، وهو العصر الذي كانت فيه الفرضية المسبقة لمفكّريه تقوم على أساس قدرة العقل البشري على حلّ المسائل الإنسانية ومتطلّباتها من دون الحاجة للوحي السماوي. [الموسوي، جدلية الرؤية الأنسنية والرؤية العقدية، مجلة الدليل، العدد الثاني، ص 15 ـ 40]

وبتعبير آخر: إنّ الإنسان قادر على أن يمهّد طريق السعادة والرقّي لنفسه ولأفراد النوع البشري ويحدّد إطار كرامته باعتباره أعلى قيمة يمتكلها ويضمن حقوقه كافّةً بالاستفادة من عقله الذاتي دون أن يكون بحاجةٍ لهداية السماء وتعاليم الوحي في هذا المجال؛ وذلك أنّ العقل البشري بمفرده قادر على أن يوفّر للإنسان حياةً سعيدةً بالاستفادة من التجربة والعلوم الاجتماعية، ويبني له حضارةً ويخترق أسرار الكون والإنسان وكنههما ويمهّد له سبيل الهداية.

في قبال ذلك تعالج رؤيةٌ أخرى مسألة الكرامة الإنسانية في نطاق صورة تستمدّ أطرها من الرؤية الإسلامية الغنيّة التي ترتكز على العقل البرهاني والمعارف الدينية الإسلامية العالية، لترسم للإنسان حدود الكرامة الإنسانية ومختلف خصوصياتها وموانعها. فالكرامة الإنسانية قد طرحت بصورة صريحة

في التعاليم والمنظومة الإسلامية، بحيث إنّ الإنسان ضمن هذه المنظومة يحظى بمكانة خاصّة وموقع مهمّ في نظام الوجود، بصرف النظر عن لونه وشكله وموطنه وجنسه وما إلى ذلك، فهذه المسألة ليست بالأساس فكرةً أبدعها الفكر الغربي أو المنظّمات الحقوقية الدولية، وإنّما كان القرآن الكريم قد أكّد عليها منذ قرون خلت. وبناءً على هذا يسعى المقال إلى معالجة إشكالية كرامة الإنسان من خلال الإجابة على عدّة أسئلة ـ بما يتّسع له مجال البحث ـ وهي هل للإنسان من حيث هو إنسان مكانة أم لا؟ فإن كانت له مكانة فمن يحدّدها؟ وما هي حدودها وخصائصها؟ وهل لله دور فيها أم لا؟ هل للعقل الإنساني المستقلّ قدرة على تحديد موقع للإنسان بصرف النظر عن الوحي وتعاليم السماء؟ وذلك وفق منهج تحليلي ووصفي مع عرض دراسة مختصرة حول مسألة الكرامة الإنسانية في ضوء العقلانية الاسلامية، مستعينًا بالقرآن ونصوص المعصومين. كما لا يغفل جانب المقارنة مع ما هو مطروح على الضفة الأخرى أي الفكر الأنسني الغربي.

وقبل الورود إلى أصل البحث، ينبغي التطرق إلى معنى مفردة الكرامة في اللغة والاصطلاح والقرآن الكريم ومختلف التحليلات التي يلزم أخذها بعين الاعتبار عند التعاطي مع هذه المفردة.

مفهوم الكرامة

الكرامة لغةً من: (كرم) الكاف والراء والميم أصلٌ صحيح له بابان: أحدهما شَرَفٌ في الشيء في نفسه أو شرفٌ في خُلُق من الأخلاق. يقال رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كريم. وأكرَمَ الرجلُ، إذا أتَى بأولادٍ كرامٍ. واستَكْرَم: اتَّخَذَ عِلْقًا كريمًا. وكَرُم السَّحابُ: أتَى بالغَيث. وأرضٌ مَكرُمةٌ للنَّبات، إذا كانت جيِّدة النبات. والكَرَم في الخُلْق يقال هو الصَّفح عن ذنبِ المُذنب. قال عبدُ الله بنُ مسلِم بن قُتيبة: الكريم: الصَّفوح. والله تعالى هو الكريم الصَّفوح عن ذنوب عبادِه المؤمنين. [ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 172]

والكرامة هي النزاهة عن الذلّة والنقص، فالكَرَم نقيض اللُّؤْم. تكرَّم فُلانٌ عَمَّا يَشِينُه، إِذَا تَنَزَّهَ وأَكرمَ نَفسَه عن الشَّائِنَاتِ [الزبيدي، تاج العروس، مادة كرم]، والكريم غير الكبير والعظيم، فالروح العالية المنزّهة عن أيّ تذلّل تسمّى كريمةً.

والكرم ـ كما ورد في مفردات الراغب ـ كالحرّيّة إلّا أنّ الحرّيّة قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلّا في المحاسن الكبيرة. [الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 428]

ومعادل هذه المفردة في الإنجليزية كلمة "human dignity" وتعني الشرافة والشرف والفخر والمقام

والمنزلة وحقّ الاحترام [Campbell, Black's Law Dictionary, P 456]. وقد ظهرت عبارة "الكرامة الإنسانية" في اللغات الأوروبّية حوالي العام 1155 م، حيث جاءت تتضمّن معنيين أساسيان، موجودان في القانون جميعًا: مسؤولية تبوّئ صاحبها مكانةً بارزةً، والاحترام والتقدير الذي يستحقّهما شخص أو شيء ما. [انظر: شيكرب، الكرامة الإنسانية في المسيحية والإسلام والمواثيق الدولية، ص 138]

وأمّا في الاصطلاح فتعني حيثية يتمتّع بها الناس كافّةً ـ بلا استثناء ـ من حيث كونهم إنسانًا، ولا دخل فيها للّون والجنس واللغة والعرق والوضع السياسي والاجتماعي و ... [فروغی، نگرشی به مفهوم كرامت انسانی، ص 117]، وقد عرّفها فيلسوف الكرامة كانط (Immanuel Kant) بأنّها القيمة التي تورث الشخص الإنساني الحقّ في التمتّع بمعاملة تجعل منه غاية بذاته لا مجرّد وسيلة لغيره. [عبد الباسط، مفهوم الكرامة الإنسانية، ص 204]

وجاء في المعجم الفلسفي أنّها: «مبدأ أخلاقي يقرّر أنّ الإنسان ينبغي أن يعامل على أنّه غاية في ذاته لا وسيلة، وكرامته من حيث هو إنسان فوق كلّ اعتبار» [وهبة مراد، المعجم الفلسفي، ص 611]

وجاء في تعريفها أيضًا أنّها امتلاك الإنسان بما هو إنسان للشرف والعزّة والتوقير، فلا يجوز انتهاك حرمته وامتهان كرامته، فالإنسان مخلوق مُكرَّم، قد فضّله الله ﷻ على كثير من خلقه. ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [سورة الإسراء: 70]، وهي كرامة طبيعية متّع الله ﷻ كلّ أفراد الإنسان بها. وهناك كرامة إلهية تختصّ بمن اتّقى الله ﷻ حقّ تقاته: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [سورة الحجرات: 13]. [مركز الرسالة، الحقوق الاجتماعية في الإسلام، ص 18]

بناءً على التعريفات المقدّمة للكرامة وغيرها ممّا لم يذكّر وهو كثير، يمكن ملاحظة الأمور التالية:

أوّلًا: الكرامة مشترك معنوي وليس لفظيًّا

إنّ الكرامة هي عبارة عن نحو وجود خاصّ، وأكمل دراجاتها ثابتةٌ لله ﷻ، فهو وجود محض، غير أنّها تطلق على الممكن أيضًا. بناءً على هذا فالكرامة هي من قبيل المشترك المعنوي، وليست من قبيل المشترك اللفظي، من هنا فهي ليست من سنخ الماهيات وليست مندرجةً تحت أيّ مقولة من المقولات الماهوية.

إنّ ميزة المشترك المعنوي هو أنّه مفهوم خاصّ ينتزع من الوجود بنحو خاصّ ثمّ يحمل عليه. وبهذا فهو كالوجود نفسه، غير أنّه في بعض المراحل والمراتب المتوسّطة والنازلة قد يتركّب مع الماهية، كالعلم ومفهوم العلم فهو في ذاته نحو وجود خاص لا علاقة له بالماهية، لكنّه في بعض المراحل يكون مشوبًا باعتباره كيفًا نفسانيًّا. وعلى هذا الأساس، أطلقت الكرامة ومشتقّاتها بنحو المشترك المعنوي وليس

اللفظي على الله ﷻ في القرآن الكريم وسنّة المعصومين عليهم السلام، فقد جاء في سورة النمل: ﴿**فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [سورة النمل: 40]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [سورة الانفطار: 6]، وجاء على لسان المعصومين عليهم السلام قولهم: «يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 91، ص 149].

على هذا الأساس يلحظ ربط الكرامة بمجموعها بالوجود الكريم المطلق، فالخلق كلّهم عيال على الله ﷻ ونسبته إليهم واحدة تمامًا، إلّا أنّ بينهم تنافسًا في التقرّب المعنوي إليه عبر البناء العقدي الواقعي، والعمل الصالح المؤثّر في تحقيق مقتضى الخلقة والخلافة. وهذه الملاحظة لا توجد في الفكر الغربي المادّي والأنسني الذي يفتقد هذا المستوى من الفهم تمامًا.

ثانيًا: الكرامة وصف نفسي وإضافي

إنّ الكرامة هي وصف نفسي لا يستلزم الإضافة إلى الغير، ومن هنا فهي على غرار الولاية والغنى والشهادة و...، على عكس السخاء والجود والعطاء والهبة؛ إذ إنّها وصف نسبي يلحظ فيه الإضافة إلى الغير. يقول السيّد الطباطبائي في بيان الفرق بين التكريم والتفضيل بعد بيان المراد من التكريم وأنّه تخصيص الشيء بالعناية وتشريفه بما يختصّ به ولا يوجد في غيره: «التكريم معنى نفسي، وهو جعله شريفًا ذا كرامة في نفسه، والتفضيل معنى إضافي وهو تخصيصه بزيادة العطاء بالنسبة إلى غيره مع اشتراكهما في أصل العطية، والإنسان يختصّ من بين الموجودات الكونية بالعقل، ويزيد على غيره في جميع الصفات والأحوال التي توجد بينها، والأعمال التي يأتي بها ... ومحصّلة الفرق بين التكريم والتفضيل بأنّ الأوّل هو في الأمور الذاتية ... والثاني في الأمور الاكتسابية» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 13، ص 83].

نعم، قد يكون التكريم والإكرام في بعض الأقسام والدرجات معادلًا للجود والهبة، كالقول بأنّ الكرامة ضدّ اللؤم، والجود ضدّ البخل. لكن مع ذلك قد يكون الإنسان مع فقره كريمًا حتّى ولو كان غير جواد ووهّاب، فهو كريم بالفعل ولو أنّه بالفعل ليس جوادًا أو وهّابًا.

فالإكرام والتكريم ـ كما في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [سورة يس: 27] ـ ليس معادلًا للجود والعطاء، ففي هذا المورد أو في غيره من النصوص على غرار ما ورد في الصحيفة السجّادية: «**إِنَّكَ تُفِيدُ الْكَرِيمَةَ وَتُعْطِي الْجَسِيمَةَ**» [الصحيفة السجادية، ص 151]، وليست الكرامة معادلةً للجود والعطاء، حتّى لو كان الجود بنحو الإطلاق شاملًا لجميع هذه المصاديق.

ثالثًا: الكرامة بين العقل النظري والعملي

مثلما أنّ الكرامة تعتبر من شؤون العقل العملي كالجود والسخاء والهبة، فهي كذلك من شؤون العقل النظري على غرار المعرفة والدراية، وحتّى لو أنّ الاشتباه والخلط قد يقع أحيانًا بين هاتين القوّتين العقليتين من حيث المصداق، إلّا أنّه بعد التحليل النهائي سيصبح الفصل المميّز لكلّ واحد منهما واضحًا. [جوادي آملي، كرامت در قرآن، ص 9 ـ 11]

إنّ صفة النبوّة هي من المصاديق البارزة للكرامة، فمن نال منصب النبوّة كانت تلك الكرامة الخاصّة من نصيبه كما قال سيد الشهداء عليه السلام: «اللّٰهُمَّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين» [الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 3، ص 315]. فالنبوّة تتضمّن الكمال العملي والكمال العلمي أيضًا، فهي على غرار الجود، ومع ذلك فإنّها لا تعتبر جودًا أو سخاءً أو ...

بناءً على هذا فإنّ الكرامة شاملة لشؤون العقل النظري كالعلم والمعرفة الإلهية؛ ولهذا فقد جاء في الأدعية على لسان المعصومين عليهم السلام قولهم: «فأسأل الله الذي أكرمني بمعرفتكم ومعرفة أوليائكم» [المجلسي، بحار الأنوار، ج 98، ص 295].

وهذه المسألة مطروحة عند فيلسوف الكرامة الألماني عمانوئيل كانط (Immanuel Kant) أيضًا غير أنّه يحصر محور الكرامة وأساسه في نطاق العقل العملي فحسب. [انظر: محمدپور، نسبت ميان عقلانيت و كرامت انسان در فلسفه ملا صدرا و كانت، ص 21]

وعلى الرغم من أنّ العقلانية هي معيار تعيين شأن الإنسان ومقامه، إلّا أنّ مقام الإنسان ومكانته تظهر عند كانط في نطاق العقل العملي، أمّا وفق الرؤية الإسلامية فتظهر في النطاقين معًا.

رابعًا: الفرق بين الكرامة والإعجاز

الكرامة على غرار الإعجاز وصف نفساني للأولياء الربّانيين، بحيث يتمتّع الإنسان السالك في ضوئه بوصف القدرة على خرق العادة، وذلك على غرار ما ذكره سبحانه وتعالى من قصّة آصف بن برخيا: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [سورة النمل: 40]، أو قصّة مريم عليها السلام: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا**﴾ [سورة آل عمران: 37]، فهذا النوع من خرق العادة إذا كان لغير النبيّ سمّي كرامة، والفرق بينها وبين الإعجاز هو أنّ هذا الأخير يكون مرفوقًا بدعوة النبوّة ومصحوبًا بالتحدّي. ولكنّ الكرامة ليست مقرونةً بذلك. وعلى الرغم من ذلك لا يطلق عنوان الجود والسخاء و... على قدرة خرق العادة بينما تطلق الكرامة على ذلك، ومن هنا فالاشتراك هنا هو اشتراك لفظي لا معنوي.

خامسًا: الكرامة بين الشخصية الفردية والشخصية الحقوقية

مثلما يطلق وصف الكرامة على الشخص المستحقّ لها، فإنّه قد يطلق أيضًا على الشخصية الحقوقية التي تكون مستحقّة لتلك الصفة. وذلك حينما تكون تعريفًا للسيرة العلمية والعملية التي تتمتّع بها. وذلك على غرار وصف الحكومة بحيث يكون ذلك بيانًا لنظامها الخاصّ، فإذا كان نظام حكومة معينة قائمًا على أساس مباني الإسلام ناشرًا لمعارفه مقيمًا لحدوده، فتلك الحكومة تتّصف بوصف الكرامة. ومن هنا جاء في الدعاء: «اللّهُمَّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة». وحتّى لو كان الجود والعطاء صفةً لشخصية حقوقية، إلّا أنّه لن يتعدّى حدود الجانب العملي الإجرائي فحسب. وفي إشارة إلى هذه المسألة يذهب المفكّر إقبال اللاهوري ـ حسب الأستاذ مطهري ـ إلى أنّ "الفرد" أحيانًا يبتلى بداء "تزلزل الشخصية" أو "فقدان الشخصية" ... وكذلك "المجتمع" كالفرد يملك روحًا وشخصيةً، فيفقد الإيمان بالذات والإحساس بعدم احترامها وفقدان الكرامة الذاتية وذلك يسبب سقوطه وهزيمته رأسًا. وأن كان مجتمع يفقد الإيمان بالذات والاحترام بالكيان الذاتي والكرامة الشخصية فهو محكوم بالهزيمة والسقوط. [انظر: مطهري، الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، ص 59]

السادس: الكرامة لا تقتصر على الإنسان

إنّ الكرامة كغيرها من الفضائل التي هي في مستواها، وفي أيّ موقعٍ ومحلٍّ تظهر فيه فإنّها تفيض على ذلك الموطن، حيث يمكن أن تظهر في مورد الملكوت الذي يمثّل ما وراء الطبيعة لتشكّل الملائكة والعرش الإلهي وحملة العرش و...، ويمكن أن تبرز في العالم الطبيعي الذي يرتبط بالموجودات الطبيعية بمختلف أبعادها كقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ [سورة الشعراء: 26]، أو كيوم عرفة مثلًا باعتباره ظرفًا خاصًّا لنزول الرحمة والكرامة الإلهية، وهذا ما يتجلّى من خلال ما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام من قوله: «**اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمٌ شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ وَعَظَّمْتَهُ، نَشَرْتَ فِيهِ رَحْمَتَكَ، وَمَنَنْتَ فِيهِ بِعَفْوِكَ وَأَجْزَلْتَ فِيهِ عَطِيَّتَكَ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَى عِبَادِكَ**» [الصحيفة السجّادية، ص 212]. أو شهر رمضان المبارك: «**وَهذا شَهْرٌ عَظَّمْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ، وَشَرَّفْتَهُ وَفَضَّلْتَهُ عَلَى الشُّهُورِ، وَهُوَ الشَّهْرُ الَّذي فَرَضْتَ صِيامَهُ عَلَيَّ، وَهُوَ شَهْرُ رَمَضانَ، الَّذي اَنْزَلْتَ فيهِ الْقُرْآنَ، هُدًى لِلنّاسِ وَبَيِّنات مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانَ**» [ابن طاووس، الإقبال، ج 1، ص 79].

وحتّى لو أنّ جميع عالم الإمكان يعتبر مظهرًا لله الكريم، وكلّ الآيات الإلهية كريمة، ولكنّ الهمّة العالية تقتضي طلب الأكرم دومًا: «**اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ آياتِكَ بِأَكْرَمِها وَكُلُّ آياتِكَ كَريمَةٌ، اللّهُمَّ إِنِّي**

أَسْأَلُكَ بِآياتِكَ كُلِّها» [المجلسي، بحار الأنوار ج 95 ص 93].

كما أنّ هنالك الكرامة المختصّة بالإنسان، وتمثّل تلفيقًا بين الطبيعة وما وراء الطبيعة، وجمعًا بين كرامة الملكوت وكرامة الطبيعة.

سابعًا: الكرامة ذاتية واكتسابية

على عكس الرؤية الغربية يفصل في الرؤية الإسلامية بين أصل الكرامة أو الكرامة الّتي يحصل عليها الإنسان باعتبار انتمائه الإنساني فقط، والكرامة المكتسبة التي ينالها عبر سيره التكاملي المعنوي وعمله الصالح في خدمة الخلق. وهذه نقطة مهمّة لم يدركها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي يعتمد على الفكر الأنسني في صياغة مبادئه؛ فإنّ أيّ وجدان يدرك الفرق بين عالم كبير كابن سينا مثلًا، وفرد عادي يعيش لنفسه دون أن يترك أثرًا في الحياة. فمحمدتقي الجعفري يقسّم الكرامة الإنسانية إلى كرامة ذاتية وأخرى اكتسابية، ويرى أنّ كليهما ثابتٌ للإنسان في الرؤية الإسلامية. فهنالك كرامة ذاتية وحيثية طبيعية يتمتّع بها الناس كافّةً، ما لم تسلب عنهم باختيارهم لخيانة أنفسهم وغيرهم وظلمها وظلمهم. وكرامة قيمية ناشئة عن استخدام الاستعدادات والقوى المكنونة في وجود الإنسان والسعي نحو الرشد والكمال. وهذه الكرامة الاكتسابية والاختيارية هي القيمة النهائية والغائية للإنسان. [جعفري، حقوق جهانى بشر از ديدگاه اسلام و غرب، ص 279]

إنّ الكرامة الذاتية في الرؤية الكونية التوحيدية هي موهبة إلهية قائمة على أساس وجودي وأصيل، منشؤها خلقة الإنسان ذاتها، أمّا في الرؤية الغربية المادّية والنزعة الأنسنية فهي مسألة اعتبارية جعلية. وعلى هذا الأساس يأتي التركيز في الرؤية الاسلامية على حرمة إفناء النوع البشري، حيث إنّه إشارة إلى تلك الهبة الإلهيّة ولزوم استمرار هذا المدد الإلهي، كما يضاف إلى ذلك مسألة حماية الجنين، وحرمة الجنازة الإنسانيّة ولزوم عدم انتهاكها. كما أنّ حرمة الكرامة الإنسانيّة محفوظة حتّى بعد الموت، فالتمثيل حرام حتّى بالكلب العقور.

الكرامة والروح الإلهية

وفقًا للرؤية الكونية التوحيدية التي يقيم عليها الدين الإسلامي بناءه الفكري والعقدي والنفسي والسلوكي، فإنّ خلقة الإنسان وبناءه قائم على تركيب بين الجسم والروح، وإنّ هناك علاقةً بينهما، وإنّ لكلٍّ منهما خصائص وأبعادًا تختصّ به. [مصباح يزدي، معارف قرآن، ج 3، ص 367]

وعلاوة على البراهين العقلية التي أثبتت أنّ للإنسان بعدًا غير هذا الجسم المادّي يتمثّل في النفس المجرّدة التي تشكّل هويّته وحقيقته، إذ إنّها لا تفنى بفناء هذا البدن، بل تبقى بعد موته وتواصل الحياة إلى الأبد. [انظر: ابن سينا، النفس من كتاب الشفاء، ص 288]

وبناءً على هذا فإنّ للإنسان روحًا مجرّدةً عن المادّة وبالتالي لا ينتهي الإنسان بالحياة المادّية الدنيوية لكي يبحث عن غايته وكماله في الدنيا، وإنّما تمثّل هذه الدنيا بالنسبة إليه مقدّمةً يبلغ من خلالها إلى مقصده المنشود. ومن غير المعقول أن يبحث أحدهم عن غايته ومقصده في الممرّ والطريق التي من شأنها أن توصله إلى الغاية والمقصد.

هذا وقد أوضح القرآن الكريم جوهر الإنسان الأصلي والأساسي باعتباره موجودًا شريفًا وكريمًا، لا أنّ الإنسان يبلغ أصله عن طريق الطاعة والعبادة. فحين قال القرآن الكريم: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [سورة الإسراء: 70] فمعنى ذلك أنّه قد تمّ استخدام الجوهر واللبّ الكريم في خلقته. فالإنسان ليس كسائر الموجودات الأخرى بحيث أنّه خلق من التراب فحسب، وبالتالي ما كانت الكرامة لتكون له وصفًا ذاتيًّا وأوّليًّا. ولكن بما أنّ الإنسان لديه أصل وفرع وهذا الثاني منسوب إلى التراب والأصل منسوب إلى ربّ الأرباب، فقد قال تعالى: ﴿**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [سورة الحجر: 28 و29]، فالروح قد نسبها إلى نفسه، ولكنّ الجسم مرتبط بالطين ومن هنا فقد نسبه إلى التراب والطبيعة، فلم يقل "إنّي خالق بشرًا من طين ورح مجرّدة"، وإنّما طين ثمّ روح، وبما أنّ الروح الإنسانية ارتبطت بالله هنا فإنّها نالت حظًّا من الكرامة لأنّ الله هو الغنيّ الكريم كما مرّ. وفي موضع آخر تشير آيات أخرى من القرآن الكريم إلى هذه المسألة حيث قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾ [سورة ص: 75]. ومفردة "بيدي" الواردة في الآية تبيّن أنّ الخلقة قد تحقّق بيدين وهو دلالة على التعظيم، أو أنّها ناظرةٌ إلى جمال الحقّ ﷻ وجلاله وكلاهما يرجع إلى أصل واحد. فإذا ما كان الله قد خلق الإنسان بيدي الجمال والجلال فسيكون مظهرًا لكليهما وسيكون بالتأكيد متمايزًا عن بقيّة الموجودات التي خلقت بيد واحدة. فالخطاب قد توجّه لإبليس: "خلقت بيدي" بحيث يوحي معناها إلى أنّي خلقتك من يد واحدة فحسب. [جوادی آملی، کرامت در قرآن، ص 55]

العلاقة بين الكرامة والتعاليم الإلهية

لقد خلق الله الإنسان بخلقة مستوية، فمن الممكن أن نجد شخصًا معاقًا أو منقوص الأعضاء في بدنه، إلّا أنّ هذا النقص سيسقط عنه تكاليف معيّنة، فلا يكلّفه الله ما لا طاقة له به. أمّا بالنسبة

للروح والنفس فهي واحدة عند كلّ الناس ولا يوجد فيها أي نقص لأنّها مجرّدة، وهذه التسوية للنفس يبيّن الله كيفيتها بقوله: "فألهمها فجورها وتقواها"، فاستواء خلقة النفس والروح هي بالإلهام، فليس للروح شكل وقيافة وجسم حتّى يكون استواء الخلقة أو عدمه محسوسًا، بل إنّ استواءها بما هو من سنخها، بمعنى أنّ النفس لمّا كانت مجرّدةً، فاستواؤها يكون بأمر مجرّد أيضًا وهذا الأخير يتمثّل في الإلهام بالتقوى والفجور. وهذا الأمر لا يختصّ بإنسان دون آخر، بل يشملهم جميعًا وهو ناظر إلى المسائل الأخلاقية والميول والرغبات نحو الأعمال الصالحة، وبهذا يتجلّى بوضوح أنّ الله قد جهّز الإنسان برؤية توحيدية: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [سورة الروم: 30]، وبميول أخلاقية كذلك: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [سورة الشمس: 8]. وبهذا يكون الإنسان قد خلق خاليًا عن أيّ نوع من دناءة حبّ الدنيا، وإنّما خلق بحيث يطلب الله ويتحرّك نحوه، فهو يعرف طريق التقوى وطريق الفجور، وأنّ عليه أن يتحرّر من الفجور ويصل إلى التقوى، فإذا بلغها صار كريمًا، ولأنّ مدار الكرامة وطريقها هو التقوى. فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [سورة الحجرات: 13]، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى**» [نهج البلاغة، الحكمة 110].

بناءً على هذا فقد عرف الله جوهر الإنسان باعتباره كريمًا، ومن يطوي طريق الكرامة فلا يعتبر أنّه حمّل على نفسه أثقالًا وأعباءً خارجةً عن نطاقه، وإنّما يكون قد حمّل عليها ما لا يليق بها إذا ما ترك العنان لنفسه. وبعبارة أخرى فإنّ الكرامة كما مرّ نوعان كرامة ذاتية تكوينية يختصّ بها الإنسان بما هو إنسان، وتشمل عامّة البشر بلا استثناء، وهنالك كرامة اكتسابية قيمية تحصل نتيجة الأفعال الاختيارية للإنسان، بحيث إنّ الإنسان لو امتثل للأوامر الإلهية، واتّبع طريق التقوى فإنّه يصل إلى الكمال الحقيقي المختصّ به. فهذه الكرامة الأخيرة لها علاقة بالأعمال الصالحة ومقدار التقوى عند الإنسان حيث يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [سورة الحجرات: 13].

وعلى هذا الأساس ستكون جميع التعاليم الإلهية كافّةً منظّمةً بشكل لا تكون معه منافيةً لكرامة الإنسان ليس هذا فحسب، بل تكون في صدد تكميل هذه الكرامة. وستكون الأحكام العبادية والحقوقية، الفردية منها والاجتماعية قد جُعلت ووُضعت بحيث تحفظ كرامته. وما يليها من مواقف يقود إلى نهاية تكوّن نهاية كريمة قطعًا. فإذا كان الله باعتباره المبدأ الفاعلي موصوفًا بالكرامة، وكان الإنسان باعتباره المبدأ القابلي منعوتًا بالكرامة، وكانت القوانين والتعاليم كافّةً كريمةً تتناسب مع الجوهر الكريم للإنسان، فإنّ المآل سيكون كذلك، ومن هنا فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾ [سورة الانشقاق: 6]، أي أنّك مسافر ونهاية السفر والسير هو لقاء الله. وهذا

المسير هو مسير الكرامة. ومسير الكرامة لا يمكن طيّه من دون زاد السير والطريق، وزاد طريق الكرامة هو التقوى: ﴿**وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [سورة البقرة: 197]. وعلى هذا الأساس نجد الرؤية التوحيدية الإسلامية تؤكّد على هذه المسألة حيث جاء في نهج البلاغة: «**وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اِصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ، فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَسَابِقُوا الْآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ**» [نهج البلاغة، الخطبة 183].

موانع الكرامة

كما مرّ سابقًا: أنّ الذي يشكّل حقيقة الإنسان هو روحه، وهذه الروح هي نفسها كريمة: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [سورة الإسراء: 70]، وليس للإنسان حقيقتان روح وبدن، بل له روح هي الأصل وله بدن هو الفرع، وتلك الروح على الرغم من أنّها أصيلة إلّا أنّ لها درجاتٍ مختلفةً.

بناءً على هذا يعدّ الإنسان من حيث المبدأ كريمًا حتّى وإن كانت له ميول نحو عالم المادّة والشهوات، إلّا أنّ روحه وفطرته تتطلّع إلى الكرامة وتطلبها. لكن هناك مجموعة من الموانع تحول دون بلوغ الانسان هذا المقام لا يسع المجال لذكرها بالتفصيل، ولكن من أهمّها:

1ـ الطغيان: حيث قال تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۞ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾ [سورة العلق: 6 و7]، فأوّل مانع هو الطغيان والتمرّد على الله ﷻ، وأوّل شرط للانضمام هو العبودية والانقياد لله ﷻ، فمن يكن متمرّدًا لا يمكنه بلوغ الكرامة. ومن لا يرى نفسه محتاجًا لله ولا يجد في نفسه أنّه عبد محض. فهو مرفوض ومردود، إنّ على الشخص الذي يريد من الله أن يكرّمه أن لا تكون فيه رائحة الطغيان والأنانية.

فحقيقة الإنسان وكماله مرتبط ومتعلّق بالمبدإ الفاعلي له والمكرّم له وهو الله، والتنكّب عن هذا الأمر والتمرّد عليه يجعله يقابل ذلك بالطغيان، ما يجعله يسقط إلى الحضيض. فعندما يرى الإنسان نفسه مستقلًّا، ويرى لنفسه مقامًا ذاتيًّا، ويرى لنفسه عظمةً وشرفًا، فإنّ هذه الأنانية ورؤية النفس تكون سببًا

للطغيان والابتعاد عن طريق الكرامة وتحقيقها، وهو الهدف المنشود. فمن أجل تحقيق كرامة الإنسان وتعاليه فوق كلّ القيم المادّية التي تريد قهره واستضعافه وسلب إنسانيته وتحويله إلى متاع يباع ويشترى، أو آلة تستخدم حينًا ويستغنى عنها أحيانًا؛ من أجل ذلك جاهدت رسالات الله كلّ ألوان التسلّط والاستكبار من قبل طائفة لأخرى، سواء باسم الدين أو باسم العنصر واللون والدم، أو عن طريق الثروة وإثارة الشهوات، أو عبر القوّة وإثارة الرعب. [المدرسي، التشريع الإسلامي، ج 3، ص 42]

2ـ طلب الدنيا وزينتها: إنّ التعلّق بالدنيا أو المادّيات في الرؤية التوحيدية الإسلامية قاطع لطريق الكرامة والوصل إليها. فحبّ الدنيا وزينتها يحول دون بلوغ الإنسان كماله الحقيقي. وفي هذا المجال يوضّح أمير المؤمنين عليه السلام هذه المسألة بصورة جيّدة ويحلّلها بما لا يدع فيها مجالًا للشكّ قائلًا: «**وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِىءِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا: إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ. فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّدًا عليه السلام بِذلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ ـ وَاللهِ الْعَظِيمِ ـ وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ**» [نهج البلاغة، الخطبة 160].

هذا ولا يوجد في القرآن الكريم تشويق أو ترغيب في حبّ الدنيا بتاتًا، وليس في التعليم الإلهي وجود لذلك، فما دام الإنسان غارقًا في المادّيات ويعيش في ضيق الاعتبارات الدنيوية، فليس في إمكانه أن يتحرّك في مدار الكرامة؛ لأنّ محدودية الدنيا هي محدودية الدناءة، ومن غير الممكن لمن يجلس في محلّ القاذورات أن يلتذّ باستشمام عبق الورود!

وليس المقصود من الدنيا السماء والأرض والبحار والجبال و... فهذه موجودات تكوينية وخارجية، وهي من آيات الله سبحانه وتعالى وهي حق، وإنّما المراد من الدنيا هو الاعتبارات الموهومة من التكاثر والتفاخر الاعتباري والدنيوي، فالأعيان الخارجية ليست هي الدنيا، وإنما الدنيا هو ما ذكره الله تعالى في تعريفه إيّاها في سورة الحديد: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾ [سورة الحديد: 20]، وإنّ الله جلّ جلاله لم يذمّ وجود الأرض لأنّها آية إلهية، فالأرض موجود عيني وليس جعليًّا واعتباريًّا ودنيويًّا، وهذا الأخير هو المذموم.

بناء على هذا، فإنّ من شروط الكرامة أن لا يكون الإنسان من أهل الدنيا، ولا طالبًا للمادّيات لذاتها، ولا يكون ملوّثًا بالدناءة والوضاعة، فهناك تباين بين الدناءة والكرامة. ومن هنا ورد عن الإمام السجاد قوله: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا» [المجلسي، تحف العقول، ص 318].

الكرامة الإنسانية في النزعة الإنسانية.. تحليل وتقييم

تشكّل معرفة الإنسان لنفسه على مرّ التاريخ أحد الأمور المهمّة التي شغلت أذهان البشر، فلا زال البحث والسعي حثيثًا من قبل الحكماء وعلماء النفس والاجتماع والإنثربولوجيا و... من أجل معرفة مختلف أبعاد هذا الموجود وكشف مختلف الأسرار والملابسات التي تكتنفه.

ومثلما ذكر آنفا فقد قد أعطى الإسلام الإنسان مكانةً عاليةً حينما اعتبره خليفة الله في أرضه، وحين أكدّ كرامته ورأى أنّها كرامة ذاتية تكوينية أصيلة، لا دخل فيها لجنسه ولا للونه ولا لوطنه ولا لقومه وقوميته ولا لعشيرته ولا لماله ولا لعرضٍ من أعراض الدنيا الزائلة، وإنّما تنبع من كونه إنسانًا فحسب، وقد أفاض عليه ربّه التكريم وسخّر له ما في السماوات والأرض ورزقه من الطيّبات وفضّله على غيره من المخلوقات. وفي قبال ذلك تطرح النزعة الإنسانية التي تشتقّ من الإنسان نفسه اسمًا لها رؤية أخرى للكرامة ـ مثلما مرّ ـ تدّعي أنّها تمثّل كرامة الإنسان التي تشرفه وهو ما يستدعي الوقوف عندها قليلًا.

إنّ الأنسنة أو النزعة الإنسانية اصطلاح استخدم للتعبير عن (humanism)، ويراد منها في معناها العامّ نسق فكري تحتلّ فيه القيم والنفعية والكرامة الإنسانية مكانةً بالغة الخطورة بصورة خاصّة. وقد ظهرت هذه النزعة ـ كما مرّ في المقدمة ـ بصورة تدريجية في الغرب في عصر النهضة لتصبح الرؤية العامّة والنظرة النموذجية الذي ظهرت في أحضانه وترعرعت سائر المدارس الفكرية الغربية. أمّا اصطلاحًا فهي عقيدة أو موقف أو طريقة حياة تتمحور حول المنافع أو القيم الإنسانية، أو الفلسفة التي ترفض عادةً ما وراء الطبيعة، وتشدّد على كرامة الفرد وقيمته وقدرته على تحقيق الذات من خلال العقل. وعليه فإنّ كرامة الإنسان هي المسألة الذي ترتكز عليها الأنسنة في وجودها ـ كما تدّعي ـ باعتبارها محورًا مركزيًّا تدور حوله مختلف مسائلها وأبعادها.

إنّ نظرة الأنسنة الخاطئة والسطحية حول حقيقة الإنسان ألقت بظلالها على منظومة المفاهيم المتعلّقة بالإنسان وعلى رأسها كرامة الإنسان، فأصبغتها بالسطحية وجعتلها خاطئةً أيضًا. ومن هنا وصف بعض المفكّرين الأنسنة بأنّها حركة مناهضة للإنسانية ومفهوم مخادع. حيث يصرّح إريك فروم (Erich Fromm) بأنّ الإنسان الغربي يعاني من أزمة الهويّة؛ لأنّ حقيقة الإنسان تبدّلت إلى شيء في المجتمع الصناعي والشيء فاقد للهويّة. وإنّ الإنسان الحصيف ينبغي له أن يميّز بين الغايات والرسالة التي تنادي الأنسنة بها والمباني الفكرية التي تنطلق منها، فإنّه لا يمكن للأنسنة مع مبانيها المعرفية والفلسفية أن يصل إلى غاياتها. [انظر: موسوي، الإنسان بين العقيدة والأنسنة، ص 21]

فكيف لها أن تتكلّم عن كرامة الإنسان وهي تعامله معاملة الحيوانات معرفيًّا؟ وكيف لها أن تأتي

بقانونٍ كلّيٍّ وهي تعتقد بالوضعية؟ يقول الأستاذ مطهري: «وهنا بالذات يبرز تناقض واضح بين أساس لائحة حقوق الإنسان من جهة و بين قيمة الإنسان في فلسفة الغرب من جهة أخرى ... في الفلسفة الغربية أهينت إلى أقصى حدّ ممكن الكرامة الذاتية للإنسان وتدنّت مكانته إلى الحضيض ... في مسألة خلق الإنسان وعوامل وجوده، والغاية من خلقه ونسيج تركيبه ودوافعه وحوافزه ووجدانه وضميره ... هذا من ناحية، وفي الوقت ذاته يصدر من ناحية أخرى لائحةً مطوّلةً ومفصّلةً حول قيمة الإنسان وكرامته ومكانته وشرفه الذاتي وحقوقه المقدّسة غير القابلة للانتقال، ويدعو جميع أفراد البشر إلى الإيمان بها» [مطهري، نظام حقوق المرأة في الإسلام، ص 162]. فهل المرأة في ظلّ الرؤية الإسلامية أكثر كرامة واحفظ حقًّا وحرّيّةً، أم في ظلّ الفكر الأنسني الذي أخذ اليوم يجتاح العالم؟!

إنّ من المؤسف حقًّا أنّ كرامة المرأة نحرت على مذبح الفلسفة الغربية المادّية على طريق تحقيق "المنفعة واللذّة" معبودَي الإنسان الغربي وهدفه، وبذلك أمست المرأة في الحضارة الغربية في خدمة الدعاية والإعلان وغير ذلك، بينما تحتلّ في الرؤية الكونية التوحيدية مكانةً مرموقةً تضاهي فيها مقام الأنبياء والأولياء وتجري الكرامة على يديها كما مرّ من قصّة مريم عليها السلام. وخلاصة القول هو أنّ الأنسنة في مفهومها الغربي عجزت عن تقديم رؤية وتعريف للإنسان ناهيك عن كرامته، وذلك أنّها اعتبرته موجودًا محدودًا وصغيرًا ومنفصلًا عن سلسلة الموجودات ومتحيّرًا وغريبًا لم يتحدّد له بداية ولا نهاية، لا مبدأ له ولا مقصد ولا طريق ولا مسير، على عكس الرؤية التوحيدية.

الخاتمة

إنّ الكرامة في الرؤية الكونية التوحيدية الإسلامية القائمة على العقلانية الإسلامية والتعاليم الدينية عبارة عن حيثية وكمال نفساني للإنسان تقع في قبال الدناءة، وهي وصف اتّصف به الله والملائكة وبني آدم. وكمال الإنسان متعلّق بتحصيل وامتلاك هذه الفضيلة العليا، وهي قابلة للتحقّق في ظلّ اتّباع التعاليم الدينية التي لا تتعارض مع مبدإ الكرامة الإنسانية. والطغيان المادّي وحبّ الدنيا وطلبها والتعلّق بمظاهرها المادّية الزائلة هو من موانع الكرامة؛ لأنّ ذلّة الطبيعة ونقصها لا يتناسب مع علوّ الكرامة ورفعتها التي هي وصفٌ لما وراء الطبيعة.

قائمة المصادر

ابن أبي الحديد، محمد، شرح نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998 م.

ابن سينا، أبو علي الحسين، النفس من كتاب الشفاء، تحقيق حسن حسن زاده آملي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط 1، 1417 هـ.

ابن فارس، أحمد ، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، 1998 م.

جعفرى، محمدتقى، حقوق جهانى بشر از ديدگاه اسلام و غرب، تهران، 1370 ش.

جوادى آملى، عبدالله، كرامت در قرآن، مركز انتشارات فرهنگى رجاء، تهران، 1366 ش.

شيكرب، آسيا، الكرامة الإنسانية في المسيحية والإسلام والمواثيق الدولية، مجلّة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد 42، سنة 2017 م.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1390 ش.

الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407 هـ.

عبد الباسط عبد الرحيم عباس، مفهوم الكرامة الإنسانية، مجلة جامعة تكريت للحقوق، السنة 4، المجلد 4، العدد 2، 2019 م.

فروغى، حسين، نگرشى به مفهوم كرامت انسانى [نظرة في مفهوم الكرامة الإنسانية]، مجله اينترنتى حقوق، دوره دوّم، شماره 5، بهار 1398 ش.

اللغماني، سليم وآخرون، حقوق الأنسان مفاهيمها وأسسها، منشورات المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، 2003 م.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ، بيروت، 1989 م.

محمدپور، سيما، نسبت ميان عقلانيت و كرامت انسان در فلسفه ملا صدرا وكانت [العلاقة بين العقلانية وكرامة الإنسان في فلسفة صدر المتألهين وكانط]، مجله معرفت فلسفى، سال ششم، شماره 4، زمستان 1388 ش.

مصباح يزدى، محمدتقى، معارف قرآن، موسسه آموزشى پژوهشى امام خمينى، قم، 1379 ش.

مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في الإسلام، دار الكتاب الاسلامي، قم، ط 1، 2005 م.

الموسوي، سيد روح الله، الإنسان بين العقيدة والأنسنة، دار وارث للطباعة، كربلاء المقدسة، 2019 م.

وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007 م.